(SUJHUS) مجلة جامعة سومر للعلوم الانسانية (ISSN: 2959-5436)
عدد خاص بوقائع المؤتمر العلمي الدولي الثالث للعلوم الانسانية والتربوية والنفسية الذي اقامته جامعة سومر للفترة
من 24-25 نيسان 2024 /القسم الثالث/ محور التاريخ والجغرافية, الصفحات 405-415

الحرب النفسية في العصر الأكدي

م.د. مهدي ناهي مطير العقيلي[1]*

[1] وزارة التربية, المديرية العامة تربية الرصافة الثانية , بغداد, العراق

الملخص

يعتبر سلاح الحرب النفسية واحدا من اهم الاسلحة التي استخدمها الانسان على طول مسيرته البشرية , فهو السلاح الذي لم يتخلى عنه الانسان في جميع حروبه وصراعاته على الرغم من انه قد تخلى عن الكثير من الاسلحة المادية نظرا لتطور صناعة هذه الاسلحة من حيث مواد الصناعة والتقنيات والتحديثات التي تدخل عليها بين فترة واخرى بينما بقي سلاح الحرب النفسية محافظا على اهميته في الحروب وما ذلك الا بسبب ادراك الانسان لاهمية هذا السلاح وقدرته على الحاق الهزيمة بالعدو حتى قبل ان تبدأ الحرب العسكرية في بعض الاحيان.

والدولة الاكدية باعتبارها واحدة من اقدم الدول التي اقامت نظام حكمها على مساحة واسعة واراض شاسعة فانها من اقدم الدول التي ادركت اهمية استعمال سلاح الحرب النفسية من اجل ادخال الخوف والرعب في نفوس اعدائها واجبارهم على الاستسلام والخضوع , وليس غريبا على ابناء بلاد الرافدين الذين كان لهم قدم السبق في ارتقاء سلم الحضارة البشرية فهم بناة الحضارة ومشيدوها فلم تقتصر اكتشافاتهم الحضارية على القضايا المدنية والسلمية بل تعداه الى الجوانب العسكرية من حيث النظم والخطط والتسليح والتنظيم العسكري التي اخذت منه معظم الدول الاخرى والتي من اهمها اساليب التعامل النفسي والتأثير على معنويات العدو وكسر ارادته من اجل كسب نتيجة الحرب .

الكلمات المفتاحية: الحرب النفسية ، بلاد الرافدين ، الحضارة ، العصر الأكدي .

The Psychological Warfare In the Akkadian Period

Lecturer .Dr. Mahdi Nahi Muttair AL-Ogaili[1]*

[1]*Ministry of Education, General Directorate of Education, Rusafa II, Baghdad, Iraq*

Abstract:

The weapon of psychological warfare is considered one of the most important weapons that man has used throughout his human journey. It is the weapon that man has not abandoned in all his wars and conflicts, even though he has abandoned many physical weapons due to the development of the manufacture of these weapons in terms of manufacturing materials, technologies and modernizations that... It is intervened on from time to time, while the weapon of psychological warfare has maintained its importance in wars. This is only because of man's awareness of the importance of this weapon and its ability to defeat the enemy, sometimes even before the military war begins.

The Akkadian state, as one of the oldest states that established its ruling system over a wide area and vast lands, is one of the oldest states that realized the importance of using the weapon of psychological warfare in order to instill fear and horror in the hearts of its enemies and force them to surrender and submit, and it is not strange for the people of Mesopotamia who had a foothold. The first to advance the ladder of human civilization is that they are the builders and builders of civilization. Their cultural discoveries were not limited to civil and peaceful issues, but rather went beyond it to the military aspects in terms of systems, plans, armament, and military organization from which most other countries took, the most

*** Email address: mhdyastadh39@Gmail.com**

important of which are methods of psychological dealing, influencing the enemy's morale, and breaking his will in order to Winning the outcome of the war.

Keywords: Psychological Warfare , Mesopotamia , civilization , Akkadian period .

المقدمة:

عرفت الحرب النفسية بانها كافة التدابير التي تتخذها الدولة في المجالات السياسية ، الدبلوماسية ، الاعلام ، الاقتصاد، والشؤون العسكرية في زمن السلم والحرب ، بهدف التأثير على آراء وعواطف ومواقف وسلوك جماعات اجنبية ، عدائية ، محايدة او صديقة تساعد على تحقيق سياسة الدولة واهدافها (صلاح ، 1967 ، ص92) ، لذا ترتبط الحرب النفسية ارتباطاً وثيقاً ومباشراً مع الصراع الجسدي ، فيتم التعامل مع العدو تعاملاً نفسياً كسلاح مكمل للأسلحة المادية المستعملة في المعارك ، وبما إن الصراع الجسدي قد رافق البشرية منذ القدم فإن الحرب النفسية تكون حاضرة بدورها منذ ذلك التاريخ ، وإن كان مصطلح الحرب النفسية من المصطلحات الحديثة ، والحديث عن تاريخ الحرب النفسية مرتبط بتشكل وبوجود الكيانات السياسية فالصراع السياسي لم يكن إلا نتاجاً لها، وبما إن بلاد الرافدين وبالخصوص الجزء الجنوبي منها قد شهدت أول تجمع سكاني وتشكلت مجموعة من المدن التي تمثل كل مدينة منها نظاماً سياسياً ودينياً مستقلاً أطلق عليها "عصر فجر السلالات" والتي كانت تعيش حالة من الصراع فيما بينها على مصادر الماء والغذاء فتكون الحرب النفسية قد طبقت في جنوب بلاد الرافدين.

مشكلة البحث:

يتمحور البحث حول مدى اكتشاف سكان بلاد الرافدين عموما وملوك دولة اكد بالخصوص لأهمية التعامل النفسي ومدى لجوء ملوك الدولة الأكدية الى استعمال سلاح الحرب النفسية من اجل ارهاب الخصوم والاعداء وكسر روحهم المعنوية .

أهمية البحث:

تتركز اهمية البحث **من خلال** تسليط الضوء على اقدم اساليب الحرب النفسية التي مارسها الانسان في تلك العصور الموغلة في القدم , واثبات ان ابناء بلاد الرافدين هم اول من ادخل الاسلحة النفسية والمعنوية في منظومته العسكرية وترسانته الحربية بل ومارسوها بالفعل في حروبهم الطاحنة ضد اعدائهم خطوة بخطوة مع الاسلحة المادية الاخرى .

الحرب النفسية في العصر الأكدي

حدث تطور خطير أعقب عصر فجر السلالات ، وأحدث معه تطوراً للحرب الجسدية والحرب النفسية على حد سواء، يتمثل هذا التطور بنشوء الدولة الأكدية [1] أي اتجاه تأريخي رافض لوجود دولة المدينة وسعى إلى تحقيق سياسة الدولة الواحد ، ومن خلال سعيه إلى فرض نظام دولة القطر أو المملكة الواحدة التي تضم دويلات المدن تحت راية دولة واحدة ، ونظام سياسي واحد والذي بدأ به لوكال زاكيزي حاكم مدينة أوما من خلال السيطرة على المدن المجاورة ، والذي مهد الطريق بشكل كبير أمام الملك سرجون الأكدي في اقامة دولة القطر الموحدة ، وهي أول دولة نعرفها في التاريخ حتى الآن (طه باقر ، 1973 ، ص255) .

تعد سيطرة سرجون الأكدي على مقاليد الحكم في بلاد الرافدين ايذانا ببداية مرحلة جديدة وهي مرحلة الدولة الاستبدادية في تاريخ بلاد الرافدين القديم (عامر ، 1986 ، ص8) ، فقد شهدت بلاد الرافدين في هذا العهد حروباً طاحنة وثورات مستمرة خصوصاً من المدن السومرية التي رفضت الحكم الأكدي ، الأمر الذي دفع سرجون وخلفاءه إلى استعمال أسلوب حرب التدمير الشاملة من أجل اثارة الخوف والرعب في نفوس سكان المدن الثائرة ومنع المدن الأخرى من أن تحذوا حذو هذه المدن (ديكانوف ، 1986 ، ص282) .

كما إن سياسة الحرب النفسية في هذا العصر لم تقتصر على اثارة الهلع والخوف من خلال سياسة التدمير الشامل ، بل تعدى الأمر إلى جعل الاستعراضات العسكرية واقامة المسلات والنصب وارسال الأسرى واستعراضهم في العاصمة أكد جزءاً أساسياً من أعمال سرجون الحربية الواسعة وسار حكام أكد الآخرين على النهج نفسه (حميدة ، 1997 ، ص83) ، كما استعمل سرجون أسلوباً جديداً من أجل اذلال هذه المدن واضعاف الروح المعنية لديها والقضاء على مقاومتها وذلك من خلال هدم أسوارها (جورج ، 1984 ، ص210) ، فسور المدينة له دلالة نفسية على منعة المدينة وحريتها واستقلالها وبهدم هذا السور يسقط نفسياً هذا الشعور بالحماية ومنع العدو من دخول المدينة ولذلك ركز سرجون نصوصه على هذا المعنى فقد ورد في أحد نصوصه : ((**سرجون ملك أكد ... هدم مدينة الوركاء وأطاح بسورها ... سرجون ملك أكد حارب رجال اور وأنزل بهم الهزيمة وخرب مدينتهم وهدم أسوارها ، وضرب "اي-نينمار" وهدم أسوارها وأنزل الدمار بارضها الممتدة من لكش إلى البحر وغسل أسلحته بالبحر . لقد حارب رجال اوما وأنزل بهم الهزيمة وخرب مدينتهم وهدم أسوارها**)) (صموئيل ، 1973 ، ص466) .

ويعد ابتداع سرجون لغسل الأسلحة في البحر تصرفاً جديداً لم يكن معروفاً من قبل وهو غسل الأسلحة بالماء للدلالة على القوة والسطوة والوصول إلى أبعد حد يمكن الوصول إليه من التوسع والنفوذ ، ولقد تعامل سرجون الأكدي مع خصومه ومناصريه تعامل نفسياً ، فهو شخص غير معروف النسب ولم يكن من عائلة معروفة قد تقلد منصباً سياسياً مهماً من قبل ووصول هكذا شخص إلى الحكم يعد غاصباً بنظر سكان بلاد الرافدين ، وحكمه فاقداً للشرعية ولأجل اضفاء الشرعية على حكمه وابعاد تهمة الغصب عنه عمد إلى ابتداع طريقة جديدة وهي الادعاء إن الإلهة عشتار قد اختارته وأنها أرادته بالخصوص ليكون حاكماً على جميع البلدان (طه باقر ، 1973 ، ص275) ، فيقول بهذا الخصوص :

((**أنا سرجون الملك القوي ملك أكد**

كانت أمي سيدة متواضعة[2]

أما أبي فلا علم لي به وكان يسكن في الجبال ...

وبينما كنت أعمل بستانياً احبتني الإلهة "عشتار "

ولمدة أربع سنوات حكمت المملكة

وحكمت ذوي الرؤوس السوداء واخضعتها)) (جيمس ، 1962 ، ص7).

إن السبب الذي دفع سرجون إلى ادعاء هذه الدعوى هو أن حكام بلاد الرافدين كانوا يعتمدون في حكمهم على مبدأ الاختيار الإلهي وأنهم منصبون من قبل الآلهة وعليه فلا يحق للرعية الاعتراض على تصرفاتهم مهما كانت قاسية ودموية (عبد الرضا ، 1981 ، ص655) ، فكان على الشعب السمع والطاعة ، وإلا فإن أي اعتراض على تصرفات وكلاء الآلهة

في الأرض يعد اعتراضاً على الآلهة نفسها ، وعلى من يقوم بهكذا تصرف فعليه تحمل عاقبة أعماله فتحل عليه اللعنة من قبلها (ثوركليد ، 1980 ، ص145) . وهذه حرب نفسية سلطها سرجون على أنصاره فضمن طاعتهم وعلى أعداءه فأنزل الخوف في قلوبهم باعتبار أنه يمثل إرادة السماء ، واستمر حكم سرجون (2371-2316 ق.م) أي خمس وخمسون سنة تسلم ابنه (ريموش Remuš) الحكم ولم يتغير الحال كثيراً عن ما سبق ، فقد بدأ حكمه بحملات دموية قادها ضد المدن السومرية التي حاولت نزع سلطة الأكديين عنها ، فانتشرت بينها روح الثورة واستقبلت عهده بمقاومة شرسة ، وهنا كان على هذا الحاكم أن يستعمل السلاح نفسه الذي سبق لوالده أن استعمله ، وهو اثارة الخوف والذعر في نفوس المعارضين من خلال استعمال أسلوب الابادة الشاملة للمدن الثائرة وتمكن بحمامات من الدم وبمدن قد ازيلت أسوارها وأبيدت تماماً (جان ، 1986 ، ص115) ، وبمعارك طاحنة اشترك فيها الآلاف من الجنود فضرب ودمر مدن اور ، اوما ، أدب ، لكش، دير.... (صموئيل ، 1973 ، ص465) تمكن من ارجاع الأمور إلى نصابها وأن تستقر أمور حكمه، لم يستمر حكم ريموش (2315-2307 ق.م) طويلاً فتسلم أخوه "مانتشوسو" (2306-2292 ق.م) الحكم بعده والذي واصل السير على النمط السياسي والعسكري نفسه فسحق الثوار السومريين وفض حركات التمرد بحد السيف (ماتفيتف ، 1991 ، ص80) ، كما إن مانشتوسو ادعى في أحد نصوصه أنه قد خاض معركة بحرية اثناء قيامه بحملة بحرية عبر الخليج العربي ، وواجه فيها تحالفاً لجيوش يمثلون اثنتين وثلاثين دولة وتمكن من الحاق الهزيمة بهم واخضع مدنهم ، إذ ورد بهذا الخصوص: ((**عبر مانشتوسو ، ملك كيش ، بعد ما أخضع "اشنان"** (جنوب غرب ايران) **البحر الأسفل بواسطة السفن ، فتجمعت لحربه جيوش ملوك اثنتين وثلاثين مدينة تقع في الجانب الآخر من البحر . فهزمهم وأخضع مدنهم ، ثم أطاح بسادتهم وأصبح البلد كله في قبضته حتى مناجم الفضة**)) (جورج ، 1984 ، ص213) .

وبهذا يكون سلاح الارهاب واثارة الذعر والخوف أهم الأسلحة التي استعملها الملوك الأكديين ضد أعداءهم ، ولكن ما أن تسلم (نرام– سين Naram-sin) الحكم (2291-2255 ق.م) حتى حصل تطوراً واضحاً على مستوى التعامل النفسي ، فقد اتخذ خطوة غير مسبوقة على مستوى الفكر السياسي لسكان بلاد الرافدين ، إذ أعقب اسمه بالنجمة وهو المقطع الذي يرمز لكلمة الإله وهو ما يعد سابقة لم يقم بها أحد من الحكام قبله ، إذ من المعروف أن حكام بلاد الرافدين كانوا وكلاء للآلهة على الأرض ولم يصلوا إلى مرتبة الإلوهية أبداً (عامر ، 1978 ، ص 84) .

وبهذا التصرف ضمن "نرام- سين" الخضوع المطلق من قبل أمراء مملكته العديدين وجميع السكان وتمكن من توسعة حدود دولته لتصبح دولة واسعة من خلال الاستيلاء على مناطق جديدة وخاصة في المناطق الجبلية (احمد ، 2011 ، ص54) . وفي هذا العهد كان استعمال المال واضحاً ومهماً كأداة لجمع الانصار وضمان استمرار تأييدهم للحكام الأكديين أو لشراء ذمم الأمراء الذين لم يحسم موقفهم بشكل واضح لصالح الدولة ، فمثلاً ذكر سرجون الأكدي في أحد نصوصه أنه أطعم على مائدته يومياً (5400) من اتباعه وضباطه (جورج ، 1984 ، ص215) . وهو عدد كبير ليس من السهل تحمل تكاليف اطعامهم لكن بما أن الهدف ضمان ولاءهم لسرجون فلا مشكلة في الانفاق عليهم .

أما الابن الأكبر لسرجون (مانشتوسو) فقد قام بشراء أراضي واسعة في أربعة مدن سومرية ووزعها على تسعة وأربعون شخصاً من بينهم ابن أخ الملك وأشخاص بارزون من الأكديين من بينهم ضباط كبار في الدولة وإدارات المعابد (جان ، 1986 ، ص118) . ويمكننا الافتراض إن هؤلاء الأشخاص كانوا يمثلون الصفوة من الرجال الأكديين ، وقد تم اختيارهم ليكونوا ملاكاً لهذه الأراضي ولأهمية هذا الحدث فقد تم اقامة مسلة[3] كتذكار لعملية الشراء والتوزيع (سامي ، 1987 ، ص30) .

ومنه يظهر أن العملية لم تكن عملية توزيع طبيعية بل ربما كانت عملية شراء للولاءات خصوصاً إن الدولة الأكدية قد شهدت مؤامرات داخلية راح ضحيتها الحاكم السابق "ريموش" (جيمس ، 1955 ، ص180) . كما إن هذه المسلة تظهر حقيقة مهمة وهي قيام الملوك الأكديين بانتهاج سياسة نقل مجاميع من السكان الأكديين من أماكن تواجدهم إلى أماكن أخرى للاستقرار وتوفير أسباب الأمن والحياة الطبيعية لهم . ولا نعلم هل رافق هذا الاجراء عملية تهجير للسكان الأصليين وهم ملاك الأراضي الأصليين ، خصوصاً إذا علمنا إن ثمن الشراء كان بخساً جداً لا يكاد يزيد عن قيمة محاصيل موسم واحد (هاري ، 2009 ، ص109) .

أما من جهة الألقاب فقد ابتدع "نرام – سين" لقباً جديداً وهو "ملك الجهات الأربع" والذي يعني ملك العالم ، ثم أردفه بلقب جديد وهو ملك الكون ، فضلاً عن لقب "ملك أكد" (جورج ، 1984 ، ص214) . وهذه الألقاب الرنانة لها مقاصد سياسية واعلامية للتأثير النفسي على الأتباع والأعداء على حد سواء ، لذا كانت الأساليب الدعائية التي مارسها الملوك الأكديين للترويج لقوة حكمهم وشجاعتهم متعددة ، ومن هذه الأساليب أسلوب القصص الاسطورية التي تحكي مآثرهم ، ومن الأمثلة على ذلك اسطورة "ملحمة ملك المعركة" والتي رأينا فيها أن الملك سرجون الأكدي متوغلاً في أعماق آسيا الصغرى لحماية التجار الأكديين من ابتزازات حاكم مدينة "بوروشخاندا"[4] .

إلا أن أبرز الوسائل الدعائية التي استعملها الأكديون لتخليد منجزاتهم العظيمة وانتصاراتهم الكبيرة ، هو فن النحت الذي تطور بشكل كبير ، فقد وضع الفنانون الأكديون أسس مدرسة للفن الواقعي في بلاد الرافدين القديم لأول مرة وأصبحت النماذج المنحوتة نبراساً للأعمال التالية فقد عملوا على التركيز على نقاط مهمة في النحت لأعمال هدفها الترويج لفكرة معينة ، من أجل التأثير النفسي الدعائي ، فمثلاً ركزوا على ابراز هيأة الملوك واظهار المرونة في التجسيم ، كما ابتعدوا عن الأساليب السومرية السابقة التي سادت في عصر فجر السلالات ، وعمد الفنان الأكدي إلى ابراز الشخصية الأكدية في الأعمال النحتية البارزة بوضوح وخاصة في مجال نحت المسلات الملكية التي اقيمت لتخليد أعمال الملوك الأكديين ومنجزاتهم ، فضلاً عن دورها الدعائي الاعلامي (ليونارد ، 1948 ، ص46) ، والتي سنتناول اهمها[5].

ففي مسلة سرجون جرى تصوير الملك سرجون بحجم أكبر من بقية جنوده ، ويحمل صولجاناً بيده اليمنى وهو علامة وشارة الملوكية التي نزلت من السماء بحسب معتقدات بلاد الرافدين (عادل ، 1968 ، ص90) ، كما ظهر فيها أجسام عشرة أشخاص يحمل أحدهم سلاحاً ضرب به أحد جنود الأعداء على رأسه ، بينما ركع بقية الأعداء أرضاً وأحدهم يحاول تقبيل قدم أحد الجنود المنتصرين ، وهو مشهد يعبر عن الاذلال والهزيمة والانكسار في معنويات جنود العدو (Stromenger , 1964 , p.404) .

ولزيادة الشعور بانكسار العدو وهزيمته يُظهر الفنان وفي مشهد مثير عدد من الكلاب والنسور التي تقوم بتمزيق جثث الأعداء ، وهو أمر يعطي ايحاء بضراوة المعركة وقساوتها ، كما يوحي بكثرة خسائر العدو في هذه المعركة (انطون ، 1975 ، ص157) ، وهي أساليب حرب نفسية يسلطها الأكديون على أعداءهم وذلك بتذكيرهم بمصير كل من يحاول منازلتهم في الميدان ، وفي مشهد آخر من مشاهدها يُظهر عدد من أسرى العدو الذين تم محاصرتهم في شبكة يمسك بها رجل يحمل بيده عصا يحاول أن يضرب بها رأس شخص يحاول الخروج ، كما يظهر على المشهد رمز الإلهة عشتار وهي تجلس على عرشها وتراقب الأحداث باعتبارها إلهة الحرب (Stromenger , 1964 , p.404) .

ويبدو من ملامح الشخص الذي يحمل الشبكة يرجح أنه يمثل الملك سرجون ، وهنا يظهر التغير الحاصل في أساليب الدعاية نتيجة تغير مستوى العقيدة عما كان في عصر فجر السلالات ، فبالرغم من التقارب الكبير من حيث الموضوع الذي تحكي عنه مع مسلة اياناتم السومرية من خلال منظر الشبكة التي تجمع الأسرى ، ولكن هناك فرق واضح قد طرأ على الشخص الذي يحمل الشبكة فقد حل الملك سرجون محل الإله ننجرسو (عادل ، 1968 ، ص90) .

وهذا التغير يدل على إن الملوك الأكديين بدأوا يرفعون من مقامهم ليصل قريباً من مقام الآلهة حيث وصل سرجون إلى مقام راقٍ جعلت منه يتصرف في المعركة وفق ارادته وبكامل قوته وسلطته وتمكن من تحقيق النصر برعاية الآلهة التي اكتفت بالمشاهدة لمجريات المعركة وطبيعة أحداثها التي يديرها الملك ، بينما في مسلة النسور كان الإله ننجرسو هو من حقق النصر بدلاً من الملك اياناتم (طارق ، 1985 ، ص41) ، ويرى بعض المختصين إن هذا التغيير يشير إلى طبيعة السياسة التي انتهجها سرجون الأكدي في فصل السلطة الدينية عن السلطة الدنيوية (فوزي ، 1990 ، ص38) ، إلا أن الباحث يرى أن هذا التغيير لا يشير إلى فصل بين السلطتين بقدر ما يشير إلى تشبث الملوك الأكديين بالسلطة الدينية في قيادة الدولة ولكن من خلال ارتقائهم إلى مصاف الآلهة وهذا ما طبقه نرام – سين بوضوح من خلال تأليه نفسه ، أما مسلة النصر[6] والتي تعود لنرام – سين فإن الجوانب النفسية والدعائية لا تقل عن مسلة سرجون إن لم تزد عليها ، ففيها من المشاهد التي توحي باقتدار نرام سين وجنوده على تحقيق النصر في بيئة جبلية صعبة ، فقد صور الملك نرام – سين بحجم أكبر من جنده ، وهو يرتدي بزته العسكرية مدججا بأسلحته التي تتألف من القوس والفأس في يد والسهم في اليد الأخرى (لتدريه ، 1979 ، ص288) ، إن مبالغة الفنان في ابراز حجم الملك بالنسبة إلى بقية شخوص المسلة له ما يبرره ، إذ أراد أن يُظهر الرغبة في التأكيد على أهمية مكانة الملك ودوره في احراز النصر (محمد ، 1974 ، ص131).

أما الجنود من قواد الجيش وحملة الألوية فقد ظهروا وهم يتبعون الملك لصعود ممرات جبلية وعبر الاشجار (عبد العزيز ، 1967 ، ص420) ، وهذه إشارة على إن الملك هو من يتقدم جنوده ويدخل ساحة المعركة لا إنه يدفع بالجنود ويبقى هو في الخطوط الخلفية يكتفي بقيادة من بعد والتفرج على مجريات الأحداث ، وهذا الأمر يرفع من معنويات الجنود الذين يشاهدون قائدهم وهو يتقدمهم بلا خوف ولا تردد ، أما المشهد الآخر الذي لا بد للفنان من اظهاره بل والتركيز عليه فهو جنود الأعداء المهزومين فقد قزمت أحجامهم وملأت جثث قتلاهم أرض المعركة ، بحيث أن الملك نرام- سين يرتقي الجبل من خلال وضع قدميه على جثث الأعداء وهي إشارة إلى كثرة قتلى العدو (Stromenger , 1964 , p.405) . وهذا جانب مهم لا بد من ابرازه لكسر معنويات الأعداء ، أما من بقي من جنود الأعداء على قيد الحياة فقد اظهرهم الفنان وهم في وضعية التوسل وطلب الرحمة (انطون ، 1975 ، ص178) . للامعان في اضعاف الروح المعنوية للأعداء ، كما عمد الفنان في هذه المسلة إلى تقديم دليل مصور أظهر من خلاله الطبيعة الخارقة للملك نرام- سين مرتدياً التاج المقرن[7] ، وهو من علامات الالوهية في العراق القديم (Frankfort , 1965 , p.224) .

ولكي لا يترك عنصر من عناصر النصر في المعركة غائباً عنها فقد نقش على سطح هذه المسلة رموز الآلهة التي أشرفت على المعركة وأعانت الملك على تحقيق النصر ، وقد رمز إلى هذه الآلهة بنجوم كبيرة ترمز إلى إله السماء وإله الشمس "اوتو" الذي اقيمت المسلة في مدينته (انطون ، 1975 ، ص181) .

كما إن هناك مشهداً حاضراً بقوة في معظم المنحوتات الأكدية ، وهم يحرصون على ابرازها للناظر من أجل زيادة الضغط النفسي على خصومهم ، وهو مشهد أسرى حروبهم ، إذ حرص الملوك الأكديين على استعراض أسراهم في العاصمة أكد ، كما حرصوا على احصاء أعداد الأسرى وجلبهم مكبلين بالقيود إلى بلاد أكد بعد تحقيق الانتصار كدليل

مادي على تلك الانتصارات ، وكوسيلة من وسائل الحرب النفسية والتي ما زالت تستعمل لحد الآن من أجل رفع الروح المعنوية للمقاتلين ومن ورائهم بقية المواطنين ، لذا كان من المألوف أن يُرسل الأسرى مقيدين بالأغلال إلى المدن المقدسة وإلى العاصمة ، مثلما كانت ترسل الغنائم من الأموال والمسلات والتماثيل الخاصة بالأعداء إلى العاصمة كدليل آخر على الانتصار (حميدة ، 1997 ، ص84) .

لقد تباهى الملك ريموش بأنه جلب 5985 رجلاً أسيراً من مدن الأعداء ووضعهم في المعسكرات ، في حين يذكر في نص آخر أنه في أعقاب انتصاراته على العيلاميين أحصى أكثر من 17 ألف من القتلى وأسر أربعة آلاف رجل منهم ، ويبدو أن الرقم فيه مبالغة من أجل تهويل خسائر العدو (عامر ، 1986 ، ص133) ، وفي إحدى المنحوتات الأكدية هناك مشهد يحصي الأسرى الذين يظهرون حسب العُرف الذي كان سائداً آنذاك وهم عراة يمرون أمام الملك واحداً إثر الآخر مقيدين بحبال تمنع هروبهم ، وتشدهم سلسلة غليظة تعوقهم من أية حركة تتخطى سيرهم الحثيث ، وهو مشهد يعمق الشعور بالإذلال والهزيمة لدى جنود العدو (انطون ، 1975 ، ص181) .

وهكذا نجد إن وسائل الحرب النفسية والدعائية قد تطورت في العصر الأكدي وأصبحت أكثر تأثيراً من ذي قبل نتيجة لتطور أساليب الحروب وازديادها قوة وقساوة ، الأمر الذي يتطلب ابداعاً جديداً في أساليب الحرب النفسية المصاحبة للحروب الجسدية مما يضمن تحقيق النصر. وبالرغم من الانتصارات العديدة التي حققها الأكديون نتيجة التعامل الصحيح مع الاوضاع المحيطة بهم وتوظيفهم جميع الامكانيات المادية والنفسية في سبيل توسيع رقعت دولتهم إلى إن أصبحت الدولة وخاصة في عهد نرام – سين ، إلا أن الحروب الكثيرة التي خاضها نرام- سين قد عجلت بسقوط هذه الدولة على يد الكوتيين[8] .

ومهما كانت الأسباب الحقيقية التي أدت إلى سقوط هذه الدولة ، إلا أن هناك اسطورة أطلق عليها (لعنة أكد) ألفها كاتب سومري عاش بعد كارثة سقوط مدينة أكد وعزت السقوط إلى انتقام ولعنة سلطها الإله انليل على مدينة أكد نتيجة اقتراف نرام- سين ذنباً كبيراً بحق هذا الإله وذلك بنهبه معبد "الايكور" في مدينة نفر ، وانتهاكه حرمة هذا المعبد ، وقطع القمح عن بوابته ، ونقل جميع أموال نفر المهدمة إلى جانب معبد انليل إلى مدينة أكد . ولا نعلم إن كانت هذه الحادثة قد وقعت فعلاً أم لا لكن لا يستبعد أن تكون هذه الاسطورة التي قد يكون من ألفها أحد كهنة هذا المعبد تدخل ضمن الحرب النفسية التي حاول الكهنة تسليطها على الحكام حتى يضمنوا عدم تكرار هذا الاعتداء على مدينتهم ومعبدهم من قبل الحكام أولاً ، وثانياً إن هذه القصيدة تدخل ضمن سياق الدعاية لهذا الإله واحاطته بهالة من القوة والبطش ، وهذا ما يستتبع زيادة مرتقبة في واردات المعبد خصوصاً إن الإله انليل يتميز بمكانة عالية في مجمع الآلهة لبلاد الرافدين منذ القدم (عبد الحميد ، 1966 ، ص4) ، كما إن المتتبع لمقاطع هذه الاسطورة يجد إن هناك تضخيماً في وصف وحشية الكوتيين وأعدادهم من أجل تهويل حجم الانتقام الذي سلطه انليل ، إذ ورد بهذا الخصوص: ((... **شعب لا يخضع وبلاد شعبها لا يحصى ، بلاد الكوتيين .... هؤلاء جاء بهم انليل من الجبال ، وبأعداد ضخمة قطعوا الأرض كالجراد .... لم يفلت من ايديهم شيء**)) (صموئيل ، 1957 ، ص389) .

كما إن المؤلف قد ركز على حجم التدمير والخراب الذي أصاب بلاد سومر وأكد نتيجة لشدة انتقام انليل على كل من تجرأ على معبده ، وهي أمور لا يستبعد حدوثها ، خصوصاً أن مدينة أكد لم تعد مدينة مسكونة بعد هذا التاريخ (هاري ، 2009 ، ص641) ، إلا أنه ذلك يدخل ضمن سياق الحرب النفسية أيضاً ، وقد ورد بهذا الخصوص: ((**فلم يعد الرسول**

يسير في الطريق ، ولم يعد الفلاح يمخر بقاربه النهر ، وعلى الأشجار وعلى النهر وضع الرقباء ، وعلى الطرقات اقيم اللصوص ، جثث الموتى تطفوا في نهر الفرات ، واللصوص يجوبون الطرقات)) (فاضل ، 2000 ، ص313) .

وسواء صح ما نقله هذا الشاعر أم لا فإن الوضع السياسي في آخر عهد هذه الدولة يشير إلى اضطراب واضح وتفكك كبير وتناحر بين الأمراء والقادة ، إذ وصل الأمر إلى وجود عدد من مدعي الحكم بحيث نجد أن الأمر قد التبس على السكان في ذلك الوقت تمييز الحاكم الحقيقي للدولة بحيث بلغت الفوضى في العاصمة حالة الذروة (جورج ، 1984 ، ص217) ، فقد ورد في أحد النصوص التي تصف المشهد في ذلك الوقت ما يثير الدهشة إذ يقول الكاتب:

((**من كان ملكاً ؟ من لم يكنه ؟**

هل كان ايكيكي ملكاً ؟

هل كان نانوم ملكاً ؟

هل كان ايمي ملكاً ؟

أم كان ايلولو ملكاً ؟)) (Gadd , 1971 , p.450).

الاستنتاجات

لقد خرج الباحث بمجموعة من الاستنتاجات اهمها

1. ان سلاح الحرب النفسية كان سلاحا معروفا ومستعملا عند سكان بلاد الرافدين وخصوصا في عهد الدولة الاكدية التي طبقته في معاركها وضمنت الانتصار من خلال الاعتماد عليه.
2. اختلفت وسائل الحرب النفسية المتبعة لدى ملوك الدولة الاكدية فقد استعملوا التدمير وهدم اسوار المدن والاستعراضات العسكرية التي كانت تجوب الشوارع لرفع الروح المعنوية مضافا الى اختيار الالقاب التي لم تكن قد استعملت من قبل من اجل اظهار عظمة ملوك اكد .
3. ادخلوا العامل الديني كسلاح نفسي مثل ادعاء اختيارهم من قبل الالهة او اضفاء نوع من القدسية على شخصياتهم لضمان ولاء السكان وطاعتهم ولإدخال الخوف في نفوس اعدائهم.
4. لم يكن العامل الاقتصادي بعيدا عن اذهان ملوك الدولة الاكدية اذ استعمل المال كسلاح نفسي لكسب ولاء بعض الشخصيات المهمة وضمان وقوفها الى جانبهم في الحروب من خلال توزيع قطع الاراضي او اقامة الولائم اليومية .
5. يعد العامل الفني واحدا من اهم اساليب الحرب النفسية الاكدية ان لم يكن اهمها على الاطلاق حيث سخر الفن لاظهار عظمة ملوك اكد وهيبتهم من خلال النقوش والمسلات التي اظهرت الملوك بحجم اكبر من البقية كما اظهرت جنود الاعداء وهم مكسورين منهزمين وقد ملئت جثثهم ارض المعركة كما ظهر الاسرى في النقوش وهم مكبلين وقد بانت عليهم علامات الانكسار والهزيمة.

الهوامش :

[1] الأكديون : وهم فرع من الاقوام الجزرية التي نزحت من شبه الجزيرة العربية نتيجة الجفاف وضيق الحالة الاقتصادية فيها وقلة موارد العيش ، وقد استقروا في شمال بلاد سومر والتي اطلق عليها بلاد اكد . للمزيد ينظر : عبد القادر الشيخلي ، الوجيز في تاريخ العراق القديم ، (بغداد ، مكتبة عدنان:2014م) ، ص105.

[2] اعتاد الباحثون على ترجمة النص بعبارة "امي وضيعة" ولكن الدراسات الحديثة اثبتت أن المصطلح الوارد بهيأة (Enitam) ليس إلا صيغة اخرى للكلمة (Entum) والتي تعني "الكاهنة العليا " وعلى هذا يظهر السبب الذي دفع ام سرجون إلى رميه بالماء لأنها من طبقة عليا من الكاهنات التي يطلق عليهن "اينتوم" واللاتي حرم عليهن الزواج ما دمن في خدمة المعابد الدينية كما حرم عليهن انجاب الاطفال . للمزيد عن هذا الموضوع ينظر : جورج رو ، العراق القديم ، ص209 .

[3] أطلق على هذه المسلة "مسلة مانشتوسو" عثر عليها المنقبون الفرنسيون في مدينة سوسة ببلاد عيلام ومن ثم تم نقلها إلى متحف اللوفر بباريس ، وتعد من اهم الوثائق التاريخية والفنية التي وردتنا من هذا العصر تضم 76 عمودا تعكس عمليات شراء قطع أراضي في مدينة كيش وحولها . للمزيد عن هذه المسلة ينظر: هالة عبد الكريم سليمان ، المسلات الملكية في العراق القديم ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الموصل ، كلية الآداب (الموصل:2003م) ، ص65.

[4] ملخص هذه القصة ان جماعة من التجار الأكديين كانوا يقيمون في المدينة الاناضولية المسماة "بورشخندا" أرسلوا إلى الملك سرجون يستغيثون من الاضطهاد من جانب حاكم المدينة فهب سرجون لنجدتهم وارسل حملة عسكرية إلى تلك المدينة النائية ، ولما وصلت الجيوش أعلن حاكم الاستسلام بعد ان خاف من قوة الأكديين وفرضت عليه معاهدة بالتبعية . للمزيد ينظر: طه باقر ، مقدمة في أدب العراق القديم ، (بغداد ، مطبعة الحرية : 1976م) ، ص141.

[5] وصلتنا من هذا العصر عدد من المسلات منها مسلة سرجون ومسلة ريموش ومسلتان لنرام – سين فضلاً عن مسلة مانشتوسو التي خلدت اعماله الاقتصادية والتي سبق أن أشرنا إليها. للمزيد ينظر : هالة عبد الكريم سليمان ، المسلات الملكية في العراق القديم ، ص53.

[6] وهي مسلة مصنوعة من الحجر الرملي ، تم العثور عليها عام 1898م في مدينة سوسة ببلاد عيلام اثناء اعمال التنقيب التي اجراها دي موركان وقد نقلت إلى متحف اللوفر ، أما كيفية وصول هذه المسلة إلى بلاد عيلام فيبدو أنها تمثل إحدى غنائم الحرب التي نهبها الملك العيلامي شتروك ناخونتي اثناء غزوه لبلاد بابل . ينظر : حسن الباشا ، تاريخ الفن في العراق القديم ، (القاهرة ، مكتبة النهضة العربية : 1956م) ، ص66.

[7] على مستوى كتابة اسم نرام- سين فإنه دائماً ما يسبق بالعلامة الدالة على الإلوهية مما يشير إلى ليس التأليه ولكن التقديس لهذا الملك نفسه في اثناء حياته ، أما على مستوى الصور المنحوتة فان ارتدائه للتاج المقرن الخاص بالآلهة يكفي للدلالة على تقديسه . ينظر: سامي سعيد الاحمد ، المدخل إلى تاريخ العراق القديم ، ج2 ، ص32.

[8] الكوتيون: وهم اقوام جبلية نزحت من المنطقة الشرقية لجبال زاكروس وانحدرت نحو سهول العراق الخصبة واحتلت بلاد سومر واكد ، وقد ذكر لهم ثبت الملوك واحدا وعشرين ملكا حكموا جميعا "91" كان اخرهم تريكان. فرج بصمجي ، كنوز المتحف العراقي ، (بغداد ، منشورات مديرية الاثار القديمة العامة: 1973م) ، ص23.

المصادر

أولاً/ المصادر العربية:

1- احمد مالك الفتيان ، دراسات في التاريخ القديم ، (بغداد ، مكتبة عادل: 2011م) .

2- اندريه بارو ، سومر فنونها وحضارتها ، ترجمة : عيسى سليمان وسليم طه التكريتي ، (بغداد ، الدار العربية للموسوعات: 1979م) .

3- انطون مورتكات ، الفن في العراق القديم ، ترجمة : عيسى سلمان ، سليم طه التكريتي ، (بغداد ، الدار العربية للموسوعات: 1975م) .

4- ثوركليد جاكبسون ، ما قبل الفلسفة الانسان في مغامرته الفكرية الاولى ، ترجمة : جبرا ابراهيم جبرا ، (بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر: 1980م) .

5- جان بوتيرو واخرون ، الشرق الادنى القديم الحضارات المبكرة ، ترجمة : عامر سليمان ، (الموصل ، مطبعة جامعة الموصل: 1986م) .

6- جورج رو ، العراق القديم ، ترجمة : حسين علوان حسين ، (بغداد ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام: 1984م) .

7- جيمس فريزر ، الفلكلور في العهد القديم ، ترجمة : نبيلة ابراهيم ، ج 2 ، (مصر، الهيئة المصرية للكتاب: 1962م) .

8- جيمس هنري برستد ، انتصار الحضارة ، ترجمة : احمد فخري ، (القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية :1955م) .

9- حسن الباشا ، تاريخ الفن في العراق القديم ، (القاهرة ، مكتبة النهضة العربية : 1956م) .

10- حميدة سميسم ، الحرب النفسية في العراق القديم ، مجلة الآداب ، ع 42 ، (بغداد : 1997م) .

11- ديكانوف ، ظهور الدولة الاستبدادية في العراق القديم ، "العراق القديم" جماعة من العلماء السوفيت ، ترجمة : سليم طه التكريتي ، (بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة : 1986م) .

12- سامي سعيد الاحمد ، المدخل إلى تاريخ العالم القديم، ج2 ، (بغداد ، مطبعة الجامعة: 1987م) .

13- صلاح نصر ، الحرب النفسية معركة الكلمة والمعتقد ، ج2 ، ط2، (القاهرة : 1967م) .

14- صموئيل نوح كريمر ، السومريون ، تاريخهم وحضارتهم وخصائصهم ، ترجمة : فيصل الوائلي ، (الكويت ، وكالة المطبوعات: 1973م) .

15- صموئيل نوح كريمر ، من ألواح سومر ، ترجمة : طه باقر ، (بغداد ، مكتبة المثنى: 1957م) .

16- طارق عبد الوهاب مظلوم ، النحت من عصر فجر السلالات السومرية حتى نهاية العصر البابلي الحديث ، حضارة العراق ، ج 3 ، (بغداد ، دار الحرية: 1985م) .

17- طه باقر ، مقدمة في أدب العراق القديم ، (بغداد ، مطبعة الحرية : 1976م) .

18- طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ج1 ، (بغداد ، مطبعة الحوادث: 1973م) .

19- عادل ناجي ، النحت الأكدي ، مجلة سومر ، مج 2 ، ج1-2 ، (بغداد ، مديرية الاثار القديمة العامة : 1968م) .

20- عامر سليمان ، احمد مالك الفتيان ، محاضرات في تاريخ العراق القديم ، (الموصل، مطبعة الجامعة : 1978م)

21- عامر سليمان ، الجيش والسلاح في العصر الأكدي ، موسوعة الجيش والسلاح ، ج1 ، (بغداد ، دار الحرية: 1986م) .

22- عبد الحميد زايد ، الشرق الخالد ، (القاهرة ، دار النهضة العربية: 1966م) .

23- عبد الرضا الطعان ، الفكر السياسي في العراق القديم ، (بغداد، دار الرشيد للطباعة والنشر: 1981م) .

24- عبد العزيز صالح ، الشرق الادنى القديم ، ج 1 ، (القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية: 1967م) .

25- عبد القادر الشيخلي ، الوجيز في تاريخ العراق القديم ، (بغداد ، مكتبة عدنان:2014م) .

26- فاضل عبد الواحد علي ، سومر اسطورة وملحمة ، (بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة: 2000م) .

27- فرج بصمه جي ، كنوز المتحف العراقي ، (بغداد ، منشورات مديرية الاثار القديمة العامة: 1973م) .

28- فوزي رشيد ، سرجون الأكدي اول امبراطور في العالم ، الموسوعة الذهبية ، ع 1 ، (بغداد ، دار الحرية : 1990م) .

29- لوينارد وولي ، وادي الرافدين مهد الحضارة ، ترجمة : احمد عبد الباقي ، (بغداد ، دار الكاتب العربي: 1948م) .

30- ماتفيتف ، حضارة ما بين النهرين العريقة ، ترجمة : ادم حنا ،(دمشق ، دار المجد: 1991م) .

31- محمد حسين جودي ، تاريخ الفن في العراق القديم ، ج1 ، (النجف ، وزارة الاعلام العراقية : 1974م) .

32- هاري ساكز ، البابليون ، ترجمة : سعيد الغانمي ، (بنغازي ، دار الكتب الجديدة للطباعة والنشر: 2009م) .

هالة عبد الكريم سليمان ، المسلات الملكية في العراق القديم ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الموصل ، كلية الآداب (الموصل:2003م) .

ثانياً/ المصادر الإنكليزية:

1- Frankfort , H. , Kingship and The Gads ,(London , 1965) .
2- Gadd , The Dynasty of AGAD , CAH , vol. 2 , (Cambridge: 1971) .
3- Stromenger , E. , The Art of Mesopotamia , (London: 1964) .
4- Ahmed Malik Al-Fityan , Studies in Ancient History , (Baghdad:2011)
5- Andea Barow , Sumer , (Baghdad:1979).
6- Anton Mortgart , The Arts of Ancient Iraq , (Baghdad:1975)
7- Thorkild Jacopsen , Before Philosophy , (Berut:1980) .
8- Jan Botero , Ancient Near East , (Musel:1986).
9- Gorge Ro , Ancient Iraq , (Baghdad:1984).
10- Jamis Fraizer , The Folklore in Old Testament , (Egypt:1962).